دراسة:

التكـــــافـــل والتعـــــاون
من أهم المبادئ التي اهتم بها الإسلام

أ. النور أحمد محمد

لقد كرم الله تعالى بني آدم على سائر المخلوقات وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر دائبين وحملهم في البر والبحر وآتاهم من كل ما سألوه وفضلهم على كثير ممن خلق تفضيلا» ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»

ومن التفضيل جعل آدم عليه السلام وبنيه خلفاء لله جل شأنه في الأرض □وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ○البقرة٣٠ . وفي هذا إشارة إلى الأمانة التي حملها الإنسان بعد أن عرضت على أعظم المخلوقات فرفضها وأشفقن منها □إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ○الأحزاب٧٢ وكذلك فيها إشارة إلى الرسالة التي من أجلها خلق الإنسان وهي العبادة « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» وكذلك فضل الله آدم عليه السلام وذريته على الملائكة بالعلم « وعلم آدم لأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين × قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم× قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون»

وبالقرآة والعلم الذي فضل به آدم عليه السلام خاطب الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في أو سورة نزلت عليه « □اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ × خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ × اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ×الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ × عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ○العلق١-٥»

بعد هذه التوطئة يمكن القول أن هذا المخلوق الذي كرمه الله عز وجل هذا التكريم وأرسل إليه الرسل ليرشده وينير له الطريق وختم بخير البشر وسيد الرسل وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم وجعل له الإسلام ديناً ذلك الدين المقبول عند الله والخاتم للديانات والرسالات فهو دين النظام ودين المبادئ والأحكام .

ومن أهم المبادئ التي اهتم بها الإسلام مبدأ التكافل والتعاون بين الناس كافة وبين المسلمين وأولى القربى خاصة

والتكافل في اللغة العربية هو أن يصير كل واحد من الناس كافلاً للآخر والكافل هو الذي يعول إنساناً وينفق عليه ومنه قولهم تكفل فلان بالشيء إذا الزمه نفسه وتحمل به وتكفل بالدين التزم به

والتكافل في الشرع فهو معنى الإحسان والمواساة للفقراء والمساكين ومن تخلف من المسلمين والمساكين ومن تخلف من المسلمين عامة من المجتمع المسلم عن السير إلى حياة مرضية مستعصية لعجز أو يتم أو مرض أو مصاب أو جهل.

وقد أشار الله تعالى إلى تكافل هذه الأمة في آية جامعة تدل على وحدة الأمة وتكافلها وهي قوله تعالى :» وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فأعبدون «

ووضح وبين ذلك المعنى الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث من جوامع الكلم « مثل المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

وغيره من الأحاديث المشهورة التي توضح حب المؤمن لأخيه « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه « والحديث « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض.

فالمجتمع المسلم وحدة موثقة العري متساندة متعاونة تدفع كل ما من شأنه أن يفسد وحدتهم وجماعتهم □يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَائِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ○ المَائدة٢.

ومن منطلق هذه الآيات وهذه الأحاديث وغيرها كثير يقر الإسلام مبدأ التكافل الاجتماعي.

طرق وعناصر التكافل:

طرق وعناصر التكافل الاجتماعي في الإسلام أربع:

الأول: نفقات الأقارب

الثاني: الزكاة

الثالث: التعاون في المجتمعات الصغيرة

الرابع: الكفارات والصدقات غير الواجبة والأوقاف

نفقات الأقارب:

الأسرة في المجتمع الإسلامي متعاونة فبما بينها وأن القوي يعين الضعيف وأن الغني يطعم الفقير وأن ذلك حق قانوني لا مجرد حق ديني وإذ أن القضاء الإسلامي يطبقه وينفذه بالإلزام به.

والسؤال ما هي حدود القرابة التي توجب ذلك الحق؟

وللإجابة على هذا السؤال نورد أقوال الأئمة الأربعة باختصار

الإمام مالك قال إن القرابة التي توجب الإنفاق هي قرابة الأبوين والأولاد المباشرين فتجب نفقة الولد العاجز عن الكسب على أبويه ونفقة الأبوين على الولد إذا كان قادراً وكانا فقيرين.

الإمام الشافعي: وهو أن الأصول من الآباء والأجداد والجدات تجب نفقتهم على فروعهم والفروع من الأولاد والأولاد تجب نفقتهم على أصولهم.

الإمام أبو حنيفة: وهو أن القرابة التي توجب النفقة هي القرابة المحرمية أي القرابة التي تحرم الزواج، فالأعمام والعمات والأخوال والخالات والأخوات تجب نفقتهم على أقاربهم ولكن لا تجب نفقة ابن العم على ابن عمه.

الإمام أحمد بن حنبل: وهو يعم القرابة كلها بلا استثناء فكل من يرث الفقير العاجز عن الكسب إذا مات غنياً تجب نفقته في حال عجزه لأن الحقوق متبادلة والغرم بالغرم والميراث يمتد فيشمل القرابة كلها سواء كانت القرابة قريبة أو بعيدة. ومذهب أبي حنيفة هو المعمول به في أكثر الدول العربية ومذهب ابن حنبل معمول به في السعودية فقط وهناك اقتراح بتعميمه لأنه أشمل للقرابة من سابقيه.

وهناك شروط تتعلق بوجوب نفقة الأقارب لا يتسع المجال لذكرها.

الزكاة:

هي فريضة معروفة ومعلومة وركن من أركان الإسلام وتؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم.»

التكافل في المجتمعات الصغيرة:

نظم الإسلام العلاقات في المجتمعات الصغيرة على أساس التكافل بين آحادها فالقبيلة كلها متآزرة ومتعاونة فيما بينها يعين الغني الفقير ويمد القادر العاجز وعند وقوع عقوبة مالية على الفرد تؤديها أسرته عنه إن كان معسراً.

وإذا كانت أموال الزكاة في القبيلة لا تسد حاجة فقرائها يجب على القبيلة مجتمعة أن تجمع من المال ما يسد حاجتهم. قال تعالى: « والمؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة وتأتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ألئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»

والمجتمعات الصغيرة فيها مراعاة حقوق الجار أيضاً « وأعيدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت إيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً»

وقد كرر النبي صلى الله عليه وسلم الوصية بالجار حتى قال (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) وقال صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله؟ قال الذي لا يؤمن جاره بوائقه) ويدخل في ذلك تعاون أهل القرى والأحياء فيما بينهم في الأفراح والأتراح.

الصدقات والكفارات:

والصدقات منها ما هو لازم كصدقة الفطر وصدقات وكفارات الصيام ومناسك الحج والقتل الخطأ وهناك صدقات أخرى اختيارية وهي تشمل جميع وجوه الإنفاق في سبيل الله على السائلين وغيرهم.

والإسلام حث على الصدقات الاختيارية وأمر بالإنفاق ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلة واعتبر الإنفاق تطهيراً للنفس وتخليصاً من آثامها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الصدقة تطفئ المعصية « وبين إن الصدقة توجد في المال بركة فقال عليه الصلاة والسلام « ما نقص مال من صدقة « وجعل الإنفاق من صفات المتقين « ومما رزقناهم ينفقون « وكذلك قوله تعالى « والذين ينفقون في السراء والضراء « وشجع القرآن على الصدقة وجعلها قرضاً « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون « وبين القرآن الكريم أن الصدقات تنمو في المجتمع وإنها تعود على صاحبها وعلى الناس بالخير الوفير فقال تعالى « ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فاتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير» وقال تعالى « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم.

وبالمقابل فقد ذم الله البخل والبخلاء ووعدهم بالعذاب الأليم المهين « الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً» وهذه الآية نزلت في اليهود وقال تعالى « وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغاثكم»

وكذلك حث القرآن على إكرام اليتامى وإطعام المساكين والأسرى « ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» وقال تعالى « كل بل لا تكرمون اليتيم لا تحاضون على طعام المسكين « وقال تعالى « كذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين»

وهكذا نجد القرآن الكريم في آيات كثيرة غير هذه يحض ويحث على التكافل ولا يتسع المجال لذكرها وكذلك السنة النبوية الشريفة مليئة بالحث على التكافل والتعاون.

مستخلص بحث ماجستير بعنوان

البطـالـــة وآثـارهـــا الاقتصـــاديـــة دراسـة تطبيقيـــة في الســـودان

إعـــــداد الطـالبـة: منال قيلي المنصوري

تتصدر البطالة المشاكل الرئيسة التي تواجه السودان ، وكثير من الدول تعكس مشكلة البطالة تشويهات عن جانب العرض والطلب على القوى العاملة نتيجة لعوامل ديمغرافية واقتصادية واجتماعية وأصبحت البطالة القضية الملحة والحساسة التي لا تقبل بأية حال من الأحوال التأخير لما لها من آثار سلبية خطيرة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأمني والديمقراطي وهذه المشاكل تزداد يومًا بعد يوم . وبما أن البطالة هي إحدى المشاكل الأساس التي ينتج عنها تدمير القوى العاملة لذلك لا بد من تسليط الضوء على هذه المشكلة في السودان من حيث الأسباب التي أدت إليها والحجم والآثار المترتبة على ذلك ومعادلة وضع يخص المقترحات للحد من تطورها وقد قام البحث على عدد من الفرضيات تمثلت في أن البطالة في تزايد مستمر من عام إلى عام وانعكس ذلك سلبًا على الاقتصاد السوداني وأن الحلول المقترحة لعلاجها لم تفلح في ذلك ، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها :

لا تكمن مشكلة البطالة في المجتمع السوداني في زيادة حجم البطالة وحسب بل تكمن في هيكل المتعطلين وخصائصهم كما أن الواقع – بالرغم من التطورات التي طرأت على الساحة السودانية عن الاتصالات والعولمة – لا يوفر فرصًا كافية لإرضاء الشباب الخريجين .

عدم توفر خطة استراتيجية متكاملة لعلاج مشكلة البطالة في السودان .

عدم توافر المعلومات المبنية على أسس علمية حقيقية لمعرفة معدات البطالة والتباين الكبير في الإحصائيات الرسمية الصادرة عن الدوائر الحكومية .

أن تنتهج الدولة سياسة تنموية نابعة من واقع السودان وتعاليم دينية والاهتمام بالتنمية المتوازنة .

مراجعة المناهج التعليمية وربط البحوث العلمية ببرامج التنمية المستدامة وإخراج الشباب في أولويات برامج التنمية ودعم برامج التدريب والاهتمام بالمشروعات ، وإنشاء مكاتب استخدام أصلية تعمل على إيجاد فرص عمل والالتزام بأحكام قانون العمل فيما يتعلق بإعطاء الأولوية في التشغيل للعامل السوداني وتمتين الجهاز المركزي للإحصاء .

فالبطالة لا تعبر عن طاقة عاطلة في الاقتصاد بسبب عدم تشغيل عنصر العمل بأكمله ولا تعكس استغلالاً غير كفء للموارد فحسب بما يتضمنه ذلك من إهدار وتبديد للإنتاج كان يمكن تحقيقه واستخدامه في توفير إشباع أفضل للحاجات ولكنها تعني ما هو أكثر من ذلك حيث تمس حياة أفراد المجتمع وتؤثر بشدة على سلوكياتهم وتصرفاتهم ومن هنا تنبع خطورتها مما يجعلها في مقدمة المشاكل حتى يعتقد معظم الاقتصاديين المحليين أن البطالة هي المشكلة الاقتصادية الثانية في سلم الأولويات بالإضافة إلى مشكلة الفقر ، فقد تأثر السودان بعدد من العوامل الدولية والعربية والمحلية التي انعكست آثارها على النواحي الدمغرافية والاقتصادية والاجتماعية للسكان ولكن هذا التأثير أكثر فاعلية على قطاع العمالة ، فقد تميز سوق العمل السوداني بعدة مظاهر منها أن السودان يلعب دور المرسل والمستقبل للقوى العاملة ، كما أن هنالك تفاوتًا بين الأنشطة الاقتصادية والمهنية والمستويات التعليمة للسكان بالإضافة إلى عدم التوازن بين سكان الحضر والريف وبين المحافظات فيما بينها.

مقترحات لعلاج البطالة في السودان .

إجراء مسح للبطالة وتحديد أرقام وطنية معتمدة عن حلول جمع معلومات موثقة ودقيقة وتحديثها باستمرار.

معالجة التحركات الكبيرة للعمالة السودانية والأجنبية .

النهوض بالقطاعات الإنتاجية الرئيسة .

زيادة معدلات الاستثمار ، كما لا يمكن تحصيل معدلات عالية في الاقتصاد إلا بالمساهمة الفاعلة للقطاع الخاص .

إن إصلاح سوق العمل سوف يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإصلاح التعليم ومخرجاته ورفع كفاءته الأمر الذي يتطلب الزيادة المطردة لنسبة التعليم على إجمالي الإنفاق العام ليصل لمستوى المتوسط نسبة على التعليم في الدول النامية .